

أديان ومذاهب جديدة جذورها في الإسلام

بحث من تأليف سام برنر

نعرف الكثير عن المذاهب المسيحية، فمن الأمور التي تؤخذ على المسيحية تفتتها أكثر من توحيدها. فبالإضافة إلى مذاهبها الرئيسية الثلاث وهي الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية، تشعب كل منها إلى طوائف شتى: فالأرثوذكس أقباط ويونانيون وروس لكل منهم بابا يرأسهم، والكاثوليك موارنة وروم وأرمن بل وإنجيليو الإنجيل يحملون السلاح دفاعا عن حقوق المعدمين المهضومة في أمريكا الجنوبية. إلا أن كلا المذاهبين لا يكاد يلحق بقدرة المذهب البروتستانتية على الانقسام إلى طوائف جديدة تتوالد بسرعة فائقة: لوثريون وكالفنيون ومعدانيون وخمسينيون وإصلاح وخلص وإخوة وما أدراك. بل أن معظم الجماعات الدينية المعاصرة التي تتفق جل المذاهب على خروجها عن اللاهوت المسيحي، ومنها شهود يهوه وأتباع مون والمورمون، إنما انشقت عن الكنائس البروتستانتية.

ومع اتساع معرفتنا بكل ذلك يبدو لنا الإسلام صرحا متماسكا لا إنقسام فيه سوى بين السنة والشيعة. ونادرا ما تزين مكتبات العالم العربي دراسات عن أية مذاهب انبثقت من الإسلام كما إنبتقت شهود يهوه مثلا عن الكنيسة المتحدة عام ١٨٥٢. ولا مجال هنا لذكر أسباب الصمت العربي إزاء العديد من المواضيع المثيرة للاهتمام فالفقار أدري بها مني، وما كنت لأتناول هذا الباب بالطرق ما لم يقل لي أحد الإخوة السودانيين منذ أيام بأن أصل البهائيين هي اليهودية وما أبعد الحق عن ذلك. وقد دفعني هذا إلى كتابة عدة مقالات قصيرة عن المذاهب المختلفة والأديان المشتقة عن الإسلام بدء من الطرق الصوفية وانتهاء بالبهائية وديانة السيخ، تسجيلا للحقائق وأملا في إلقاء الضوء على بعض ما خفي من ثقافة عالمنا الناطق بالعربية.

التصوف

التصوف شكل متميز من أشكال الإسلام ينال اهتماما كبيرا من العالم الغربي المعاصر وكتب عنه الكثير الجم من الدراسات الأكاديمية. فالأفكار والمفاهيم الصوفية بزغت مبكرا في الإسلام ولربما كانت نوعا من الاحتجاج على إيمان فقهي التوجه يشدد على طاعة إله سامي مستلب عن الإنسان. وسعى المتصوفون بحثا عن علاقة تعبدية حميمة أكثر دفاً والتصاقا بالمعبود ومحبة للذات الإلهية، إذ يمكننا تلخيص هدف التصوف في بلوغ المتعبد حالة توحد روعي مع الله.

الطرق الصوفية موجودة في المذاهب السني والشيعة منذ القرن الثاني عشر وهي عبارة عن مجموعات منظمة كبيرة يرشدها شيخ هو المسؤول عن الاتجاه الروحي لأتباعه وينشر تعاليمه عبر خلفائه. لكل طريقة شيخ ولكل شيخ تعاليمه الخاصة وأساليبه المختلفة في العبادة، ألا أن الهدف واحد وهو بلوغ الذات الإلهية والاندماج فيها عشقا.

تعتقد معظم الطرق الصوفية في الفصل بين الذات البشرية والذات الإلهية، فمثلا تتطلب أية علاقة عاطفية شخصين حتى يكون لها معنى، يتطلب الأمر كينونتان حتى يكون للتعبيد معنى. ولكن كما هو الحال في الطرق الروحية الأخرى خارج الإطار الإسلامي، طور بعض الصوفيون فهما لتوحد الخالق مع خليقته، بل قد وصل الحال ببعضهم إلى التحدث عن أنفسهم وكأنهم أوعية تحتوي على الروح الإلهية. ومن هؤلاء الصوفي المشهور أبو مغيث الحسين منصور الحلاج (٨٥٨ - ٩٢٢) الذي لا يزال الجدل دائر حول شخصه ومقولته "أنا الحق" - وهي مقولة قد تبدو بريئة للوهلة الأولى حتى نعي بأن "الحق" هو أكثر أسماء الله الحسنى قربا من قلوب المتصوفة. وقد اختار الحلاج أن يموت صلبا تشبها بالناصرية.

دراويش الجراح

تعرف هذه الطريقة الصوفية تحدثنا في الصفحات السابقة عن إحدى الطرق الصوفية من تركيا كنوع من التقديم لما في جبة الإسلام من معتقدات لا تتناولها كتبه بالبحث عادة لأسباب عدة: منها لأنها لا تتفق ومفهوم أغلبية من لهم حق الكتابة عن الدين الإسلامي، ومنها الجهل بها من أصله، ومنها الاعتقاد بأن ما لا يطرق إليه سوف يختفي بقدرة قادر. وفي حلقة اليوم سنتناول واحدة من عدة طرق صوفية أصلها هذه المرة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ينتشر إسلام بين الأمريكيين السود والبيض هو بعيد كل البعد عما تعودنا نحن عليه في الشرق الأوسط.

النظام الصوفي الغربي (الحركة الصوفية الدولية)

بدأت أول مراحل الاهتمام بالصوفية في الغرب مع الهندي المسلم حضرة عنايت خان (١٨٨٢ - ١٩٢٧) حينما ترك موطنه متجها إلى أوروبا ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٠ ليؤسس بها طريقة صوفية صارت تعرف فيما بعد بالحركة الصوفية الدولية (وانشق عنها النظام الصوفي في الغرب).

كان عنايت خان حفيد السلطان تيبو وهو حاكم ميسوري الشهير في القرن الثامن عشر. تدرّب عنايت خان على يد جده موسيقارا محترفا وحصل على لقب "تنسيم" (كبير الموسيقيين) من حاكم حيدرآباد. وقد رباه جده على التسامح واحترام كل الأديان. وكان عنايت في شبابه شديد الاهتمام بالدين والروحانيات وتلمذ على أيدي العديد من "فقراء" الهند ورجالها "القديسين" من مختلف

الأديان إلى أن انتهى به الأمر مريدا للشيخ سيد محمد هاشم مدني، شيخ الطريقة الشيشية الصوفية. واستمر عنايت بعد وفاة شيخه في البحث والدراسة على يد معلمين هندوس ومسلمين إلى أن تنبأ له أحد البراهمة بأن مستقبله الروحي سيكون غربا.

اتسمت تعاليم عنايت بالشمولية الانتقائية في التصوف مؤكدة على تسامي الصوفية الحقبة فوق كل الأديان المتفردة لأنها مؤسسة على معرفة الحق الكامن في الروح الإنسانية معرفة مباشرة، بينما تتمتع كل الأديان في جوهرها بهذا الحق إلا أن الجوهر تغطيه ترسبات ثقافية. وتحتوي تعاليمه على سمات تعتبر من أسس الصوفية الشيشية التقليدية والفكر الهندوسي الفلسفي (ادفايتا فيدانتا)، وجوهر هذه التعاليم هو الإيمان بدور الموسيقى في تدريب الروح البشرية على إدراك التوحيد التي ينتشع بها الكون.

وقد قال عنايت خان في احدي كتاباته عن مفهومه للإسلام قائلا: "إذا فهمنا الإسلام على أنه الالتزام الفرض بمناسك بعينها، إذا كان على المسلم أن يتمسك بفيود محددة، فكيف لنا أن نضع المتصوف ضمن هذه الفئة وهو قد سما فوق كل التقييدات من هذا النوع؟" وعن البروتستانتية كما فهمها: "أنها دين يخلو من الروح والشكل، زهرة بلا بون ولا عطر. أنها خشخاشة وضعت في يد طفل يريد حلوى لإسكاته. وهي لا تختلف كثيرا عن اعتقادات أهل الحديث بين المسلمين في تمسكها بالحرفيات بدلا من الروحانيات – فالكلمة لديهم أهم من قلب يتقد إيمانا."

ومن تعاليمه الأخرى أيضا: "إن كان الأمر كبيرا أو صغيرا، استشير قلبك أولا لتكتشف إذا ما كان هناك نزاع في دواخلك بشأن ما تريد القيام به. فإن كان قلبك في سلام، كن واثقا بأن الطريق فتح أمامك – خذ الخطوة الأولى إلى الأمام فالثانية ستكون بقيادة الله."

وقد أدت تأكيدات عنايت خان على الحرية الروحية في تعاليمه إلى فهم العديد من الغربيين لعدم تضافر الممارسات الإسلامية المعاصرة والتصوف الذي يمارسونه، بالرغم من أن أتباعه يواصلون أداء الذكر بالعربية منا يفعل المسلمون.

أسس عنايت خان الحركة الصوفية عام ١٩٢٣ وقادها بعد وفاته عام ١٩٢٧ أخ له ثم ابن عم لهما. ويقال بأن عنايت خان أراد لإبنه ولايت خان (المولود عام ١٩١٦) أن يخلفه، ولكن ولايت لم يبدي اهتماما بالصوفية حتى عام ١٩٦٠، حين انشق عن الحركة مكونا النظام الصوفي الغربي بعد أن اعترض بقیة قادة الحركة على خلافته.

استمر ولايت خان من خلال النظام الصوفي الغربي في الترويج لتعاليم والده وأفكاره، وقد تبعه أول الأمر مريدين أبيه الأوائل الذين كان معظمهم من الفنانين المتربين في الطبقة الوسطى. ولكن سرعان ما بدأت الحركة في جذب العديد من عناصر الثقافة المضادة (الهيبيز ومعارض حرب فيتنام والتمييز ضد السود).

تبقى تعاليم النظام الداعية إلى الصوفية الشمولية وممارساتها جوهر عمل النظام الصوفي الغربي. ويتم تعريف المريدين بتعاليم النظام من خلال "رقصة السلام الشامل" التي تصاحبها تسابيح لها أصول إسلامية ألا أنها تستقي فحواها من الديانات الأخرى. ويختار كل مريد معلم يعرفه تدريجيا على تعاليم عنايت خان، ولكنهم لا يعتبرون أنفسهم مسلمين. كما يشدد النظام على انخراط المريدين في الممارسات العلاجية البديلة (مثل التأمل، اليوجا، الرايكي إلخ) التي من شأنها الوصول إلى توازن ذهني وعقلي، بدلا من الممارسات الروحانية الإسلامية التقليدية.

ولا زال النظام في نمو متزايد منذ السبعينات في أمريكا الشمالية وبريطانيا وأوربا الغربية، وهو محافظ على انتقائيته على عكس الفرع الثاني والمعروف بالحركة الصوفية الدولية.

قاد الفرع الثاني من الحركة الصوفية كما ذكرنا أخ لعنايت وابن عم له حتى عام ١٩٨٨ حين اختير هدايت عنايت خان، الابن الثاني لعنايت لقيادة الحركة، إلى جانب الهولندي د. فينتيفين (المعروف باسم مرشد كريم باخشاه) الذي التحق بالحركة عام ١٩٢١. مقر الحركة الصوفية حاليا هي لاهاي عاصمة هولندا. تختلف الحركة في تعاليمها عن النظام إذ أنها لا تحبذ مفاهيم العصر الجديد الروحية بل تركز على خمسة نشاطات رئيسية: الأخوة، العبادة الشاملة، النشاط الباطني، العلاج وعلم الرموز.

يمثل نشاط الأخوة التعليم الجوهري للحركة والقاتل بأن الله لا يسكن داخل معابد بل في قلب الإنسان. ويحاول النشاط الترويج للأخوة وسط البشر من خلال محاضرات تعمل على تقريب المفاهيم الغربية والشرقية في إطار من التسامح والتفاهم. أما العبادة الشاملة فهي مفتوحة أمام كل من يرغب في الحضور وقد أسسها عنايت خان عام ١٩٢١ بحيث تعكس إحترام الحركة لكل الأديان وكل مؤسسيتها. وهي تشتمل على قراءات من مختلف الكتب المقدسة ووجود رموز من مختلف الأديان وتتلئ أثناء العبادة صلوات من تأليف عنايت خان ثم تتم مباركة كل الحضور.

النشاط الباطني – ويعرف أيضا بمدرسة الثقافة الباطنية – هو أحد نشاطات الحركة الجوهريّة، حيث تتم من خلاله تدريس التعاليم الصوفية للمريدين كما وضعها حضرة عنايت خان. وترمز الثقافة الباطنية إلى معرفة الذات ويتطلب الانخراط فيها بيعة أحد المعلمين المؤهلين في الحركة.

من صميم تقاليد الطريقة الشيشية الصوفية التي بها جذور عنايت خان الروحية هو العلاج بالروحانيات والأعشاب. وقد وسعت الحركة الصوفية هذا التقليد حتى صار ممارسة للطب البديل شاملة جامعة، أساسها أهمية التوازن العقلي في سبيل نيل الصحة البدنية. والفلسفة الجوهريّة التي بنيت عليها هذه الممارسة هي أن داخل روح كل منا قوة الله الشافية. كما يتم تعريف المريدين على دراسة الرموز لفهم ما تحمله الحياة اليومية من رموز باطنة – ويتم تعليم ذلك من خلال طقسين: أولهما الصراط وهو محاولة تفرغ العقل من الأفكار السيئة التي تقف عائقا في طريق الوصول إلى الطريق الروحي، وثانيهما طقس العناصر وهو عبارة عن رقصة جماعية يدعى أنها من الرقصات القديمة في الديانة الزرادشتية.

هذا ولعنايت خان ابنة قصتها قصة بطولة الروح على الجسد - الأميرة نور عنايت خان التي عملت ضابطة اتصالات في جيش الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية في فرنسا إلى أن قبض وعذبها الألمان شر تعذيب عليها تدلهم على بقية أعضاء خليتها. ولكنها رفضت معتقل داخاو ضربا بالسياط، ولم يعرف قدرها إلا مؤخرا عندما قامت الحكومة وسام الشجاعة من الدرجة الأولى ومنحتها الحكومة البريطانية وسام الملك ترى كانت سيرتها هي الزهرة ذات اللون والرائحة؟

وهل يجوز السؤال؟

لا زالت جولتنا داخل الأشكال العجيبة التي تحور بها الإسلام في الولايات المتحدة للإسلام في هذه الدولة العظمى لا هو بجديد ولا بالقليل النادر، ويرجع تاريخه إلى حينما قام الرحالة المسلم محمد بن عبد الله بن إدريس) المعروف بالشريف ٨٠ من المهاجرين الذين كانوا يقطنون إشبيلية أيام الأمير المرابط يوسف إلى ١٤ جزيرة وصفها الإدريسي في مذكراته ١٤ ويعتقد أن بعضا منها قد الكاريبي. وقد استند مكتشف أمريكا كولومبوس على هذه المخطوطة في عام ١٥٢٧، كان العربي المغربي المتنصر إسطفان دليلا للإسبان الراغبين في بولاية أريزونا. ويقال أن من بين أوائل المستوطنين في العالم الجديد مسلم مغربي آخر اسمه نصر الدين قام بقتل أحد أميرات الهنود الحمر لرفضها زواجه.

ولكن حديثنا اليوم ليس عن هؤلاء أو عن مئات المسلمين غيرهم الذين جاءت بهم حظوظهم إلى العالم الجديد، تجارا ورقيقا وطالبي علم ومغامرين، بل سنتحدث عن ثلاث جماعات أولهم - وهي التي سنتناولها بالبحث اليوم - معروفة لدينا من وسائل الإعلام لأنها تحظى بعدم رضا السلطات الأمريكية عنها. أما المجموعتان التي سنتطرق إليها في العدد القادم فهن مثال على ما يحدث في الولايات الأمريكية من خلط ومزج بين مختلف الأفكار تؤدي في نهايتها إلى أشكال من العبادة يقطب لها الجبين تعجبا.

أمة الإسلام (The Nation of Islam)

يرى العديد من الكتاب الأمريكيين غير المسلمين بأن منظمة "أمة الإسلام" إنما هي في الأساس تعبير عن إحباط الأمريكيين من الأصل الأفريقي نتيجة عقود طويلة من التمييز ضدهم واضطهادهم. فبالرغم من إنتهاء ممارسة الرق عام ١٨٦٥ إلا أن أوضاع الأمريكيين الأفارقة لم تتغير حتى منتصف القرن العشرين.

بدأت الحركة على يد شخص يدعى والس دي فرد (١٨٧٧-١٩٣٤) والذي أطلق على نفسه فيما بعد اسم فرض محمد دلالة على قبوله الإسلام. ويقال أن فرض محمد هذا لم يكن في الأصل من الزوج بل مولدا من أب أبيض وأم من الماوري، وبأنه استوحى أفكاره من معبد العلوم المغربية الذي أسسه تيموثي مور عام ١٩١٣، ومن جمعية تحسين ظروف الزوج العمومية التي أسسها عام ١٩١٤ ماركوس غارفي. وأدخل فرض محمد بعضا من مفاهيم الإسلام على أيديولوجيته مكونا ما عرف فيما بعد بأمة الإسلام، وقد قام بإدخالها في أغلب الأحيان حتى يميز بين جماعته والغالبية المسيحية من البيض، ولما في الإسلام من المفاهيم النظرية للمساواة بين البشر حيث (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى)، وحيث يعتبر عتق العبيد عملا بارا.

ومع مرور الوقت بدء فرض محمد يدعي بأنه الله المتجسد وخالق العالم، وصار يعرف نفسه لمريديه بأنه مسيح النصرى ومهدي الإسلام. وعام ١٩٣١ قام بتعيين عامل زنجي اسمه إيليا ببول خليفة له في المنظمة بعد أن غير اسمه إلى إيليا محمد .

خلقت تعاليم إيليا محمد أسطورة أضفت على الزوج سمة الإنسان الأول (وهو ما قد أثبتته علوم الأنتروبولوجيا حاليا) الذي خلقه الله، ثم شرح به الخيال فقال أن البيض ما هم إلا نتيجة تجربة قام بها عالم أسود اسمه يعقوب، وبأن الزوج سيبيدون البيض " عند نهاية العالم الذي سيحين قريبا كما هو مذكور في الإسلام حسب تفسير إيليا له، وعندها سيقوم الزوج بالحكم في الفردوس الذي حضره لهم المهدي المنتظر.

كان لإيليا محمد مريدين مفضلين أحدهم هو مالكوم ليتل المعروف بمالكوم أكس (١٩٢٥ - ١٩٦٥)، وقد اتخذ العديد من أعضاء جماعة الإسلام لقب أكس رفضا لألقابهم السابقة التي كانت أصلا ألقاب أسيادهم عندما كانوا عبيدا. وأصبح مالكوم المتحدث الرسمي باسم المنظمة ولكنه سرعان ما رغب في تركها وإتباع الإسلام الحقيقي مما أدى إلى انشقاق في المنظمة يقال أن مالكوم أكس اغتيل بسببه عام ١٩٦٥ وهو يحاضر في نيو يورك. ويدعى بأن أعضاء موالين لإيليا محمد هم الذين قاموا بإطلاق الرصاصات الست عشر على مالكوم بينما المستمعين ملتفتين في الاتجاه المعاكس لمشادة مفتعلة في الصفوف الأخيرة. وهناك رواية أخرى تقول بأن الحكومة الأمريكية هي التي عملت على التخلص منه لمناداته بحقوق الزوج الأمريكيين أسوة بالبيض.

وبعد وفاة إيليا محمد عام ١٩٧٥ قام ابنه وارث الدين محمد بخلافته في قيادة أمة الإسلام في اتجاه الإسلام الصحيح تحت مسمى جديد وهو الدعوة الإسلامية، مما أدى إلى انقسام آخر في المنظمة. وقام أحد المتحدثين البارعين والموسيقي المتمرس لويس فرخان بتأسيس مجموعة منافسة أسماها أمة الإسلام الأصلية على أساس تعاليم إيليا محمد. وقد قام بتنظيم مسيرة المليون شخص " إلى واشنطن عام ١٩٦٥ لينافس بها مسيرة مارتن لوتر كينغ عام ١٩٦٣، ولا يزال يجذب اهتمام وسائل الإعلام حتى يومنا هذا بالرغم من فقدانه معظم أعضائه الذين تحولوا نحو مجموعة وارث الدين محمد. وهو يعتبر نفسه متحدثا ومدافعا عن الأمريكيين الأفارقة ويبدو على أنه بدأ التحول نحو الإسلام الصحيح هو الآخر في السنوات الأخيرة.

لا تعلن أمة الإسلام (وهو الاسم الذي يطلق مجازاً على المجموعتين) عن أعداد أعضائها ولكن يقال بأن لديهم ما بين ٢٥ و ١٠٠ ألف عضو في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا.

والسؤال هو أي الأمم المسلمة هي الأصلية – أتلك التي في الشرق الأوسط، أم في شرق آسيا أم وسط الضواحي الفقيرة في واشنطن ونيويورك وأورليانز؟ علماً بأن المسلمين العرب لا يعترفون بأمة الإسلام الأمريكية لأنها، حسب قول أحد الشيوخ السعوديين الذين أفتوا في الأمر، "أغلب أعضائها من السود".

ومن ناحية نظرية بحتة يراودنا السؤال – أكان بلال مؤذن الرسول أخضر اللون أم أحمره؟

وهل يجوز السؤال؟

الخلط بين الوقائع والجهل بالتاريخ هو من عموم ما تتسم به معظم الحركات الدينية في أمريكا وقد يكون السبب في ذلك هو تدني المعارف الإنسانية هناك على حساب العلوم البحتة والتطلع الذي يكاد يكون مرضياً إلى المستقبل—أي مستقبل—فكل شيء في أمريكا يتجه إلى الأمام بسرعة لا تترك مجالاً للتأني والتفكير والبحث. أضف على ذلك رغبات من لا تاريخ لهم في إضفاء الأهمية على أنفسهم وتكون النتيجة هي مجموعة من المذاهب شبه الدينية التي تجذب إليه وعجباها! متعلمي الأمريكيين من الطبقات الوسطى جنباً إلى جنب مع من لا طبقات لهم على الإطلاق. ومن هذه جماعة هي بالكامل من وحي هذين أشخاص فاتهم أن يشطحوا قبيل النطج.

تعرف الجماعة باسم أنصار الله، وتعرف أيضاً باسم <أمة النواب المغاربة> وهي واحدة من عدة جماعات من الأمريكيين السود تدعي أن أصولها هي الإسلام، مثل أمة الإسلام التي سبق ذكرها والسنة السود ومعهد المسلمين بأمر الله. ألا أن ما يميزها هو التغيير المستمر الذي يطراً على معتقداتها وأيديولوجيتها، إضافة إلى إدعائها بأنها من ديانات الفضاء الخارجي. ولنا أن نحاول فهم ما دخل الفضاء الخارجي بالإسلام اللهم إلا إذا افترضنا فرضاً بأن الملك جبرائيل كان مخلوقاً من كوكب غير الأرض.

أما عن مؤسس الجماعة المعروف بلقب الحمل فقد سجن في الستينات لاعتدائه على شخص و لحمله أسلحة خطيرة. دوايت يورك المولود عام ١٩٤٥ اعتنق الإسلام عام ١٩٦٥ في بروكلين وتجمع حوله عدد من الأتباع يرتدون ملابساً غريبة ويوزعون منشوراتهم على المارة، بينما فرض الحجاب على نسائهم وأمرهم بالعمل على طباعة المنشورات وإرسالها.

وفي فترة من الفترات قرر دوايت أن يغير اسمه إلى ربوني يشوع بار الهاردي وأعلن بأن أتباعه هم اليهود الحق على عكس "ذرية كنعان اللعينة التي تدعى نفسها بالعبرانية".

أما عن معتقدات الجماعة فهي خليط عجيب من الإسلام واليهودية والإيمان بمخلوقات الفضاء الخارجي وفيزياء الكم ومعتقدات فرعونية. وتتعدد أسماء الجماعة: فمن أنصار الله إلى أمة نواب المغاربة مروراً قبيلة ياميسي الأمريكية الأصلية وأبناء الضوء الأخضر وكنيسة المسيح كيرا الفرعونية، ونظام ملك صادق الصوفي. أما رئيسها دوايت فلا يقل إبداعاً في اتخاذ الألقاب، فهو تارة كبير الأساقفة الأميراطوري القس الدكتور مايكل يورك، وتارة ملاخي يورك وتارة أخرى القائد الصقر الأسود، وأمون رع والفرعون ناتر عفرتي أتون رع ونايا ملك صادق إيل.

وفي عام ١٩٩٣ قام يورك بشراء مزرعة ضخمة في مقاطعة بوتنام بجورجيا وشيد لها بوابات تزينها الكتابات الهيروغليفية ورسومات لآلهة فرعونية ثم أطلق عليها اسم تاما رع (مصر الغرب).

يدعي يورك بأنه قدم على متن سفينة فضاء عام ١٩٧٠ من كوكب اسمه أليون بالمجرة التاسعة عشرة وأن الناس اعتقدوا بأن سفينته تلك هي مذنب بينيت الذي ظهر في تلك السنة. وفي قصص أخرى ادعى يورك بأن والده هو الهادي عبد الرحمن المهدي الذي لاق والدته وهو طالب في الولايات المتحدة! !

ويؤمن أتباعه بأن سفينة فضائية ستأتي في المستقبل لتجمع ١٤٤ ألفاً منهم وتأخذهم إلى كوكب يدعى "رزق" حيث سيولدون من جديد. وبالرغم من كون أغليبيتهم من الأمريكيين السود (وقلة من الآسيويين والبيض) ألا أنهم يدعون تارة بأنهم منحدرين من فراعنة مصريين هاجروا إلى أمريكا الشمالية قبل أن تنفصل القارات عن بعضها البعض وتارة أنهم من قبائل الهنود الحمر الأصليين وبالتالي لهم حق الاستقلال عن الحكومة الأمريكية - وقد دخلوا في إشكالات مع الشرطة في جورجيا عندما شرعوا في استصدار جوازات سفر وتراخيص سيارات وطابع بريد خاصة بهم.

لا تدعي أمة نواب المغاربة بأنهم دين جديد على الإطلاق، بل يقولون بأن من يعتنق معتقداتهم يتمكن من الحصول على "النوابة" وهي حسب اعتقادهم الطريقة السليمة والمنطقية في التفكير لأن الآلهة المصرية القديمة كانت تفكر بها!!! وتتخلص محاضرات قائدها في طرق الحفاظ على الصحة البدنية وتنمية القدرات العقلية الخارقة للتأثير على الآخرين وللحصول على الكثير من الثروات المادية.

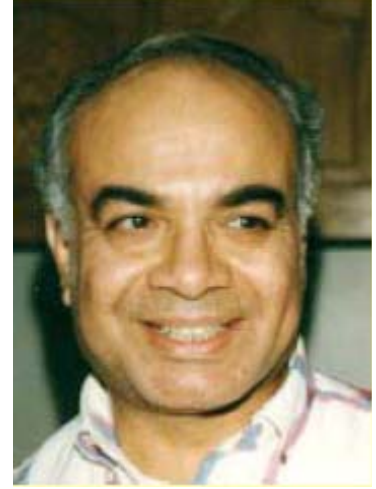
وبالرغم من أن الجماعة تنفي عن نفسها سمة التعصب العنصري والعنف ألا أن أبواب مزرعتها الواقعة على ٤٧٦ فدانا يحرسها مسلحون وكلابهم والطقوس الدينية المقامة داخلها مريبة وسرية للغاية، مما دعا بأهالي المقاطعة على الاحتجاج خاصة أن أعضاء الجماعة المباركة برئاسة مخلوق فضائي قد قرروا الاشتراك في لعبة الانتخابات المحلية! يجدر الذكر أن دوايت يورك ألقى القبض عليه عام ٢٠٠٠ وحكم عليه عام ٢٠٠٤ بفترة سجن لـ ١٣٥ عاماً لاعتدائه على أطفال.

أن حرية الاعتقاد من الحريات المكفولة في كل موثيق حقوق الإنسان الدولية، ألا أنه يبدو لي أحياناً بأن الغرب قد وصل بهذه

الحرية إلى حدودها المنطقية - فهل حرية الاعتقاد في الترهات والخزعبلات مكفولة على نفس مستوى الاعتقاد فيما يفرضه العقل؟

وهل يجوز السؤال؟

من منكم يتذكر الضجة التي سببها مقتل الدكتور رشاد خليفة في تكسون بالولايات المتحدة عام ١٩٩٠ ، تلبية على ما يبدو لفتوة أصدرها شيوخ السعودية يوم ١٩ فبراير ١٩٨٩ قالوا فيها بارتداد سلمان رشدي (صاحب الآيات الشيطانية) والمصري رشاد خليفة، عالم الكيمياء الحيوية المحترم، صاحب الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا، وابن صاحب أحد الطرق الصوفية بكفر الزيات.



ولد رشاد في أسرة متدينة بكفر الزيات في ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ وكان والده شيخا للطريقة الشاذلية. أتم دراسته الجامعية بمصر متخرجا بامتياز من كلية الزراعة بجامعة عين شمس، ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٩ حيث نال ماجستير في الكيمياء الحيوية من جامعة أريزونا ودكتوراه من جامعة كاليفورنيا. عمل مستشارا لمدة عام للحكومة الليبية، ثم كيميائيا بمنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية إلى أن انتهى به الأمر مديرا لقسم الكيمياء بحكومة ولاية أريزونا عام ١٩٨٠.

عرف عنه أثناء حياته في الولايات المتحدة التدين فقد كان نشطا جدا وسط الجالية المسلمة في كل الأماكن التي عاش بها. بل أنه كان يميل في فهمه للإسلام إلى المنظور الصوفي الذي تعلمه على أبيه الشاذلي. ولكن في عام ١٩٦٨ بدأ رشاد في استخدام الحاسوب لتحليل تردد الأحرف في القرآن ونتج عن دراسته هذه أنه أعلن عام ١٩٧٤ بأنه اكتشف نمطا عدديا معقدا يحتوي على الرقم ١٩ كما هو مذكور في الآية ٣٥ من سورة المدثر {لِئَلاَّ لِيُخَذَى الكُفْرُ}. ولم ينل بحثه إهتمام العالم الغربي حتى عام ١٩٨٠ عندما ذكرتها مجلة ساينتيфик أمريكان ثم دورية أخرى عام ١٩٨٣. أمل في الشرق الأوسط فقد كتبت عنها الجرائد والمجلات العربية بكثرة منذ عام ١٩٧٣ وكذلك صحافة الدول المسلمة الباقية.

ألا أن هذا الإعجاب لم يتساو في كل البلدان المسلمة إذ أن العديد من العلماء المسلمين اعتبروا أبحاثه بدعة في علم الأرقام وشبهوها إلى ما يقوم به مفسرو التوراة من اليهود. وكان أشد هؤلاء العلماء المسلمين عداوة لرشاد الهنود المسلمين في جنوب أفريقيا وهايبو السعودية. فعندما قام الناشر اللبناني "دار العلم للملايين" بنشر كتاب رشاد المعنون "معجزة القرآن" في مارس ١٩٨٣، قامت السعودية بشراء كل النسخ وحرقتها.

ولكن الدكتور رشاد، بعد البحوث الحاسوبية التي لا لاائمة عليها، قرر عام ١٩٧٦ أن يعلن على العالم بأن بحثه هذه إنما دلته على أن الحديث والسنة محرفان من عمل الشيطان الذي ألصقهما بالنبي محمد ولا يمكن إعطائهما نفس مكانة القرآن. بل أنه، بعد التمعن في كل ترجمات القرآن إلى الإنجليزية، قرر أن يترجمه بنفسه وذلك لأنه وجد أن كل ترجمة منها تنتقص من تعاليم القرآن بسبب عدم معرفة مترجميها للغة العربية التي كان هو يتحدث بها. وقامة القيامة. بدأ الدكتور الذي كان منذ عدة سنوات مجرد هاويا يلعب بالحاسوب وبحسب الحروف، يتحول في نظر معظم العلماء المسلمين إلى خطر داهم على تعاليم القرآن. ويقال أن أحد الملوك العرب عرض عليه مبلغا ضخما كي يسحب آراءه ولكنه رفض. بل ما زاد الطين بلة هو أن رشاد أصدر ترجمته تحت عنوان "النسخة الإنجليزية المخولة" ضاربا بعرض الحائط أي سلطة بشرية أخرى تخول النسخ المترجمة أو تمنع تداولها، قائلا بأن الله قد خوله لأن ينشر ما ترجمه.

ثم زاد الدكتور على تفاسيره قائلا بأنه لا يجوز ذكر اسم أي بشر أثناء الشهادة أو الصلاة وبأن محمد كان آخر الأنبياء ولكنه ليس آخر الرسل—وبأن الرسول الجديد ليس هو إلا الدكتور المحترم صاحب اكتشاف معجزة القرآن، ما أدى بعلماء السعودية إلى إصدار الفتوة القاضية بقتله على أنه مرتد أسوة بالكاتب البريطاني الهندي الأصل سلمان رشدي. ومع أن العالم أجمع كان يعرف من هو سلمان رشدي، ألا أن حفنة منهم كانت على دراية بكتابات رشاد.

كل فتوة تتطلب من ينفذها وتاريخنا لا يشح علينا بالمعتوهين الراغبين في سل الخناجر وسفك دماء كل من يبدي رأيا منافيا لرأي الجماعة. ففي ٣١ يناير ١٩٩٠ قام مجهول بطعن الدكتور رشاد ٢٩ مرة وهو يصلي بمسجد تكسون بأريزونا وهو المسجد الذي أسسه دارا لجماعته—التي أسماها بالإنجليزية Submitters—والتي يؤمن أفرادها حتى يومنا هذا بأن دكتور رشاد كان مرسلا من عند الله. وبعد أن سقط ميتا قام قاتله بسكب مادة قابلة للاشتعال عليه ولكنه لم يشعل فيه النار. ولم يتم اكتشاف من قام بقتله، ألا أن المحكمة حكمت على شخص يدعى وليام جيمس من جماعة الفقراء الإرهابية بالتآمر على قتله وعلى اللبناني واضح الحاج بالكذب أثناء التحقيق. وقد قال واضح—وهو مسجون لدوره في نفس السفارات الأمريكية عام ١٩٩٨ بأن قتل دكتور رشاد "أمر حسن".

في الغرب ماتت الضجة ولا تسمع عن رشاد إلا في وسط المهتمين بأخبار الأديان الجديدة. وما بقى منه هي كتاباته (وكلها بالإنجليزية) عن المعجزة الرياضية للقرآن وعن التحريف الذي نال في رأيه كل من الحديث والسنة، وترجمته المجتهدة للقرآن التي يمكن تنزيلها من على الإنترنت بعد القليل من المجهود في البحث.

أما في عالمنا الناطق بالفصحى وغيرها فسيرته لا زالت على الألسنة ذما ولعنا. فباب الإجتهد والتفسير أغلق منذ قرون وعلمتنا

الحكمة أن نسد كل ما يمكن أن تهب منه الرياح والنسيم. والموت لكل من يتجرأ على البحث عن ذلك المفتاح الصدى. وإن فعل فنحن ن ندعه مستشفيات الأمراض العقلية كما يفعلون مع "المجتهدين" في روسيا بل نرسل لهم من يقتلهم. فإذا عنت العقول وفاتنا التحضر - من لنا أن نلوم؟

وهل يجوز السؤال؟*****

"قل يا قوم دعوا الرذائل وخذوا الفضائل، كونوا قذوة حسنة بين الناس، وصحيفة يتذكر بها الأناص ... كونوا في الطرف عفيفاً، وفي اليد أميناً، وفي اللسان صادقاً، وفي القلب متذكراً.. كن في النعمة مُنفقاً، وفي فقدها شاكراً، وفي الحقوق أميناً ... وفي الوعد وفيّاً، وفي الأمور منصفاً ... [وكن] للمهموم فرجاً، وللظمان بحراً، وللمكروب ملجأً وللمظلوم ناصراً، وللغريب وطناً، وللمريض شفأً، وللمستجير حصناً، وللضربير بصراً، ولمن ضلّ صراطاً، ولوجه الصدق جمالاً، ولهيكل الأمانة طرازاً، ولبيت الأخلاق عرشاً..."

كلمات جميلة تنم عن محبة قائلها للبشرية، يشفق العاملين بها ويقتلون رميا بالرصاص، ويعتبر اغتصاب نسائهم حلالا وتشريدهم من بيوتهم وطردهم من البلاد نعمة. ولأنهم يدعون بتساوي البشر أمام الله، وبأن كل الأديان (بما فيها دينهم) ما هي إلا طرق مختلفة نحو الذات الإلهية، ولأن الحرب والكذب محرم عليهم، يكرههم الجميع - مسلمين ومسيحيين على حد سواء. فبالنسبة للأوائل هم زنادقة خرجوا من الإسلام من أوسع أبوابه لأنهم لا يعترفون بمحمد خاتماً للأنبياء، وبالنسبة للمسيحيين لأنهم لا يعتبرون الإيمان بالمسيح سبيلاً أوحدهم نحو الخلاص. أما العالم المتحضر الذي تعدى مرحلة المحرقات الدينية والتفرقة على أساس من كانت الجنة حكراً عليه، فقد اعترف بهم ديانة عالمية في الأمم المتحدة مع قتلهم - فهم لم يتعدون ٥ ملايين شخص في العالم أجمع.

ليست ديانتهم بالقديمة، بل بزغت إلى الوجود من تأملات شيوعي فارسي في عام ١٨٤٤ في مدينة شيراز العتيقة، عندما بدأ السيد علي محمد والذي عرف فيما بعد بالباب بئ تعاليم جديدة وسط المسلمين رفعت من درجات غضب رجال الدين آنذاك إلى إن قاموا بإعدامه في عام ١٨٥٠. وكان من أهم هرطقات الباب إدعائه بأنه يجهز لنبي جديد ستكون له أهمية عالمية وسيقود البشر إلى السلام، وبأن إسم هذا النبي سيكون بهاء الله.

من بين الذين اتبعوا تعاليم الباب في بداية الأمر أحد النبلاء الفرس واسمه ميرزا حسينعلی نوري، والذي ولد عام ١٨١٧ في بوابة شمران بالقرب من طهران. وهو من سلالى الساسانيين وكان والده يمتلك أراضي شاسعة في منطقة مازندران. وعند وفاة ميرزا عباس عام ١٨٣٩ م، قام بقضاء عدة أعوام في إدارة أملاك العائلة والاستمرار بالمشاركة بشكل واسع في أعمال الخير، حتى أطلق عليه أهل المنطقة لقب "أبو الفقراء".



أمن ميرزا بتعاليم الباب وهو في الثامنة عشر وقام على نشرها وقد حمته مكانة أسرته بعض الشيء من الاضطهاد ألا أن وبعد مقتل الباب سجن ميرزا عام ١٨٥٣ في طهران حيث نال من التعذيب ما نال وشاهد العديد من أقرانه يعذبون ويقتلون بأبشع الطرق. وحسب التعاليم البهائية أتته رؤية وهو في السجن بأنه هو النبي الذي بشر به الباب، فاتخذ اسم بهاء الله وقبل به معظم أتباع الباب السابقين. وبعد مرور أربعة أشهر أطلق سراحه ونفي إلى عدة أماكن مختلفة في الشرق الأوسط قضى فيها ما يربو على ٤٠ عاما يعلم ويبشر برسائله الثورية: فهو النبي الذي يكمل رسالات كل الأديان - هو التجسد الخامس لبوذا كما هو تجسد لكريشنا والمسيا المنتظر لدى اليهود وعودة المسيح للمسيحيين، ورسائله هي التي تحضر لملكوت الله على الأرض.

وفي نهاية الأمر قامت الحكومة التركية بنفيه وسجنه نهائياً بقلعة عكا مع أسرته عام ١٨٦٨. وأثناء سجنه كتب بهاء ما يزيد عن ١٥ ألف مخطوطة حول الحكم، والفلسفة والقانون والأخلاق والروحانيات والسلوك الشخصي. وتعتبر هذه الكتابات الآن جزء من شريعة البهائيين. كما راسل العديد من الشخصيات العالمية منها الامبراطور نابليون الثالث، والملكة فيكتوريا والبابا بيوس التاسع، وعدد من رؤساء الولايات الأمريكية المتحدة آنذاك. كما زاره في قلعة عكا عدد من المفكرين الغربيين الذين قاموا بنشر تعاليمه في العالم.

وعندما توفي بهاء الله عام ١٨٩٢ كانت حركته قد تأسست جيداً وتنامت، وأوصى أن يخلفه ابنه الكبير عبد البهاء في تفسير كتاباته وقيادة البهائيين. ألا أن عبد البهاء توفي عام ١٩٢١ تاركا حفيده شوقي أفندي رباني ليقود البهائيين حتى وفاته هو الآخر عام ١٩٥٧.

تأسس دار العدل للبهائية عام ١٩٦٣ بالانتخاب الديمقراطي شارك فيه كل بهائيو العالم ليمسك بزمام الديانة بعد وفاة آخر عضو في عائلة بهاء الله. ويعتقد البهائيون بأن أعضاء الدار يأتيهم الإرشاد من الله وأنهم منزهون عن الخطأ وبأنهم يرسلون ملكوت الله في العالم.

بماذا يؤمن البهائيون؟ ثلاثة هي أركان إيمانهم: وحدة الله، وحدة الأديان ووحدة البشرية. الله واحد أحد خالق الحياة وحافظها، وإن كان البشر يدعونه بأسماء مختلفة. كل الخليقة تعكس جمال الله وبهائه والله سامي عليها ولكنه يظهر نفسه للبشر من خلال خليقته. وهو يظهر نفسه أيضاً في أنبيائه الذين أسسوا كل الأديان في العالم وجاءوا ليعلّموا البشر طبيعة الروحانيات وكيفية التعايش. وبالرغم من أن بهاء الله هو آخر "ظهور" لله ألا أنه لن يكون الأخير، فسوف يأتي بعده آخرون. كل الأديان السابقة واللاحقة إنما

هي وحي تدريجي من الله ينزله على قدر استطاعة البشر استيعابه. إذا هناك دين واحد، وكل ما مر إنما هي مراحل مختلفة. فالحقائق الروحية لكل الأديان متماثلة ولا تبدو الأديان لنا مختلفة إلا بسبب ما تحتويه من قوانين اجتماعية مختلفة. كما شرح بهاء الله التناقضات الموجودة في النبوات المختلفة على أنها نتيجة التفسير البشرية الخاطئة لها.

يتمتع البهائيون عن تناول الكحول والمخدرات (حتى التدخين محرم عليهم) والتمسك بالأخلاق العالية والصدق في التعامل مع الآخرين. وهم يصومون ويصلون كثيرا، ويعملون على التوعية للحد من التسليح العالمي والتفرقة بكل أنواعها وتوزيع الثروات على سكان العالم بشكل أكثر عدلا. وينبع هذا النشاط من إيمانهم بوحدة البشرية وكون كل فرد منا عضوا في أسرة إنسانية كبرى جامعة. "الأرض دولة واحدة مواطنوها البشر" – ولا يمكن الوصول إلى سلام دائم يعم العالم إلا بالتخلص من كل أشكال التفرقة والاضطهاد.

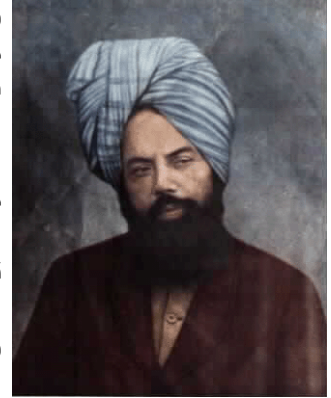
يقع مركز البهائية العالمي في حيفا بإسرائيل ولهم مراكز تعبد أخرى في كافة أنحاء العالم. أما في إيران الإسلامية، من حيث بزغ دين التسامح والشمل هذا، فالبهائيون يتعرضون لأصناف اضطهاد يشيب لها شعر الرأس، من شنق وقتل واغتصاب للنساء ونزع الممتلكات والإجبار على إشهار الإسلام إلخ. وقد داومت الدول الغربية على إعطاء البهائيين الإيرانيين حق اللجوء السياسي منذ سنوات طويلة وجاء العديد من الأسر البهائية إلى أستراليا حيث يحترم مجتمعها أخلاقهم العالية ونشاطهم الاجتماعي الهادف إلى تحسين وضع المستضعفين على الأرض لا لغرض في نفس يعقوب إلا إيمانهم القوي بأن كل منا أخ للآخر.

أما بقتيتنا، من أوصاه نبيه بالعناية بسابع جار (دون تحديد عرقه أو دينه)، ومن أوصاه مسيحه بالصفح سبع مرات سبعين مرة (أيضا بدون تحديد نوعية هذا الأخ) فقولني لي بالله ماذا نفعل حاملين السلاح، رافعين أصواتنا بالكرهية، رافضين رؤية أننا كلنا نولد لنموت؟

وهل يجوز السؤال؟

"استمعوا! فقد جئت إليكم يا معشر المسلمين بتوجيه ليس مني بل من الله: فجهاد السيف قد إنتهي منذ الآن ولكن جهاد تطهير النفس باقي."

ولد ميرزا غلام أحمد عام ١٨٣٥ بقرية قاديان بالبنجاب الهندية، ويقال أنه من الأشراف – أي من سلالة الرسول – لكون أحد أجداده بأمه يرجع نسبه إلى فاطمة ابنة الرسول. أما بوالده فهو سليل أسرة من العلماء الإيرانيين هاجرت إلى سمرقند في القرن السادس عشر. وكان ميرزا غلام أحد توأمين توفي أخاه في طفولته، وكونه من أسرة ميسورة الحال فقد اعتنى والده بتعاليمه لا علوم القرآن فحسب، بل واللغتين العربية والفارسية إضافة إلى بعض علوم الطب التي تلقاها من والده الطبيب. وعندما بلغ السادسة عشر بدأ في دراسة المسيحية بسبب قيام أحد المبشرين البريطانيين بطرح حجج تشكك في الإسلام على مسامعه، فقام بجمع ما يزيد عن ألف مقالة تنقض الإسلام ثم وضع ردوده عليها في كتاب أسماه البراهين الأحمدية. وقد نال بسبب كتاباته هذه احترام وإعجاب العلماء المسلمين الآخرين. وفي عام ١٨٥٢ تزوج من قريبته حرمة بيبي وأنجب منها ولدان. وعمل كاتبا بمدينة سيالكوت في الفترة ما بين ١٨٦٤ و ١٨٦٨ حيث تعرف على عدد من المبشرين المسيحيين ممن جادلهم في الدين. وعاد إلى قاديان تنفيذًا لرغبة والده عام ١٨٦٨ ليرعى مصالحه ألا أن جداله مع المبشرين لم يتوقف، بل اتخذ طابع المناقشات العلنية دفاعا عن تعاليم الإسلام.



وبعد عام من عودته إلى قاديان ذهب ميرزا غلام أحمد لزيارة الشيخ محمد حسين وكان حينها شيخا لجماعة أهل الحديث التي مقرها مدينة باتالا، وكان الشيخ محمد يعرف ميرزا غلام أحمد منذ طفولته. وأثناء هذه الزيارة طلب منهما الدخول في جدال ديني علني، ولم يقبل ميرزا غلام أحمد بذلك إلا على مضض فلم يكن هو ممن يستمتع بالجدال لمجرد الكلام. فبدر بسؤال الشيخ محمد عن موقفه من موضوع ديني محدد، وبعد أن أجابه الشيخ بما يرضي الله قام ميرزا غلام أحمد قائلا "أجبت إجابة ترضي الله ولا أجد بها ما يدعو للنقاش" وخرج من الجامع، مما أصاب أتباعه بالغضب. ألا أن ميرزا غلام أحمد عاد يعد قليل ليقول بأن الله أخبره عن رضاه بما فعل مضيئا "سوف يغمرك الله بالبركات ويسعى الملوك إلى نيل البركة من أطراف ثيابك."

ومن هنا بدأت إدعاءات ميرزا غلام أحمد بأن الله يزوره في الأحلام، وخاصة بعد صوم ٦ أشهر عام ١٨٧٥ إدعى أن الأنبياء والصديقين كانوا يزورونه أثناءه، بما فيهم محمد، على شكل عواميد نور مختلفة الألوان. وفي عام ١٨٨٤ تزوج مرة أخرى من امرأة تدعى نصرة جيهان بيغوم أنجب منها عشرة أطفال توفي نصفهم في طفولتهم بينما عاش ثلاثة أبناء وبناتان حتى بلغوا الشيخوخة. وعندما بلغ ميرزا غلام أحمد الأربعين من عمره توفي والده، فبدأ يدعى بأن الله يخبره بشكل متزايد وينزل عليه الوحي. وركزت كتاباته في تلك الفترة على دحض ما اعتبره كتابات منافية للإسلام تصدر عن المبشرين المسيحيين والهندوس، مما وجد قبولا عند بقية العلماء المسلمين، من ضمنهم أشخاص صاروا فيما بعد من أشد المنتقدين له مثل مولانا محمد حسين ومولانا عبد الكلام أزد.

وجاء عام ١٨٨٦ ليقرر ميرزا غلام أحمد البحث عن الإرشاد الإلهي بأن يغادر إلى هورشيابور مع قلة من أتباعه، ويغلق على نفسه باب غرفته لمدة أربعين يوما من الصلاة والتأمل لم يتبدل أثناءه كلمة واحدة معهم، بل وصل به التنسك لدرجة أنه كان يصلح الجمعة وحيدا في مسجد قديم مهجور. وبعد انتهاء الفترة خرج على العالم بالأخبار السارة التي من الله بها، كما ادعى،

عليه بصفته الابن البار له. فقد خرج ميرزا غلام أحمد على العالم بدين جديد هو القاديانية، ويعرف أتباعه في عصرنا هذا بالأحمديين.

فأول هذه الادعاءات تقول بأنه المسيح المنتظر والمهدي والمنتظر في آن واحد، وأن مجيئه يكمل النبوات القائلة بمجيء مصلح ديني في الأيام الأخيرة. وقد فجر هذا الإدعاء خلافا ضخما مع المسلمين والمسيحيين بالرغم من أن ميرزا غلام أحمد لم يقل أبدا بأنه هو نفس المسيح الذي سبقه بتسعة عشر قرنا، بل أنه يشبهه فقط في الروح. ثم سطر كتابا اسمه تذكرة الشهادتين قال فيه بأنه موصوف في الحديث والمصحف، بصفته المسيح القادم. وبعد أن اتهم بأنه أتى بدين جديد نفى ذلك بشدة متمسكا بأن ما يقوله هو من صلب الإسلام وبأن عمله هو مجرد إحياء للدين ونهضة له، وبأنه نبي في الإسلام يحل محل محمد كما حل المسيح مكان موسى.

ومع مرور الوقت بدأت ملامح دعوته إلى التجديد تتضح أكثر فأكثر، وجمعها في أحد أكثر كتبه اشتهاها وإطراء إلا وهو البراهين الأحمدية، التي قال في أحد مجلداته الأخيرة بأنه هو المسيح المنتظر في الإسلام، وهو أمر صعب على المسلمين القبول به إذ يؤمنون بأن السيد المسيح نفسه هو الذي سيعود شخصيا عند اقتراب يوم الدين ليعظ بالإسلام ديننا. أما تعاليم ميرزا غلام أحمد فتقول بأن المسيح نجا من الصلب ومات شيئا في منطقة الكشمير التي هاجر إليها، وأن المهدي الموعود ما هو إلا مخلوق روحي وليس قائد عسكري، مما دعا بميرزا غلام أحمد إلى رفض الجهاد رفضا باتا في عصر يسمح بالدفاع عن الإسلام قولا وكتابة لا سيفا. وأدت هذه الكتابات إلى إنقلاب علماء المسلمين ضده، واتهامه بأنه يعمل ضد الإنجليز ويهترق لأنه أعلن كونه المهدي في نفس الوقت الذي أعلن فيه ذلك محمد أحمد بن السيد عبدالله في السودان. أما الآن، فأعداء الأحمدية يصرفون كما هائلا من الحبر في محاولة إثبات أن الرجل كان يعمل لصالح إسرائيل (التي لم يكن لها حينها وجود). كما أن نفاذه ادعوا بأنه لا يجيد العربية بالرغم من أنه كتب ما يزيد عن ٢٠ كتابا بها إضافة إلى قصائد عدة. وعندما تحدوا نفاذه بأن يأتوا بمثلها لم يقبل أحدهم التحدي.

تعرض ميرزا غلام أحمد في حياته للعديد من المضايقات من المسلمين والمبشرين المسيحيين في الهند على حد سواء، بل أن أحد هؤلاء المبشرين رشا متشردا ليقول بأن ميرزا غلام أحمد أرسله إليه ليقته بعد مجادلة علنية بينه وبين المبشر حول الإسلام. ولكن المحكمة برأته لأن المتشرد بات يضيف تفاصيل جديدة كلما استجوبه القاضي، فلم يقنع المحكمة بصدق كلامه وسرعان ما انكشف الأمر.

وفي أواخر عام ١٩٠٧ وأوائل ١٩٠٨ قال ميرزا غلام أحمد أن الله كشف له بأن موته قد اقترب، فسافر مع أسرته إلى لاهور حيث كثف من الوعظ والتعاليم وعمل على بث روح المصالحة بين الهندوس والمسلمين. في ٢٦ مايو ١٩٠٨ أصابه المرض وتوفي - يقال بأن ما أصابه هي الكوليرا ولو أن أتباعه ينفون ذلك.

فماذا عن أتباعه؟ تأسست جماعته عام ١٨٨٩ ولكن لم يطلق عليها اسم الأحمدية إلا بعد حوالي عشرة سنوات وقد كتب مؤسسها عام ١٩٠٠ بأن التسمية تعود إلى اسم أحمد وهو أحد أسماء نبي الإسلام ويدل - حسب تعاليم ميرزا غلام أحمد - على جمال وقوة مواظ النبي التي صارت لها أهمية أكبر في عصره عن سيرة حياة النبي نفسها والتي يدل عليها اسم محمد.

كان من أول من قبلوا بتعاليم ميرزا غلام أحمد المتقنين من رجال الدين والدنيا، منهم العديد من كبار موظفي الحكومة وضباط الجيش. وقد انقسم أتباعه بعد وفاته إلى فريقين حول تفسيرهم لمعنى استعمال ميرزا غلام أحمد لكلمتي "النبي" و"الرسول" كناية عن نفسه - فجماعة الأحمدية المسلمين يعتقدون حرفيا بنبو ميرزا غلام أحمد، أما جماعة لاهور الأحمدية فيعتقدون بأنه استخدم اللفظين مجازا. ومنذ عام ١٩٢٠ انتشر المبشرون الأحمديون في كافة أنحاء العالم، بل كانوا في الكثير من الأحيان أول حلقة وصل بين الغرب والإسلام. ويقول بعض المؤرخين بأنه وحتى ظهور حركة أمة الإسلام في خمسينات القرن الماضي بالولايات الأمريكية المتحدة فإن الأحمدية كان لهم الأثر الأكبر على أسلمة الأمريكيين السود وعلى حركة الحقوق المدنية في أمريكا. حاليا هناك فروع لجماعة الأحمدية المسلمين في ١٨٢ دولة وفروع لجماعة لاهور الأحمدية في ١٧ دولة. وبينما تعتقد المجموعة الأولى بأن قائدها منتخب من عند الله ويسمونه خليفة المسيح، فإن المجموعة الثانية تنتخب لنفسها مجلسا وأميرا يقودها.

وترفض كل من باكستان والسعودية الاعتراف باتباع ميرزا غلام أحمد كمسلمين، بل أن الدستور الباكستاني يمنعم من نشر تعاليمهم الدينية تحت بند التجديف وسب الدين، وقد تعرض الأحمدية هناك إلى السجن والاضطهاد. أما في بنغلاديش فقد طالب المتشددون عام ٢٠٠٢ بإعتبار الأحمدية كفارا، وحرقوا جامعا لهم، بينما تعرض العديد من أفرادها إلى القتل عام ٢٠٠٣ وقامت الحكومة بمنع كل منشوراتهم عام ٢٠٠٤.

"أعزلوا أنفسكم عن اضطرابات العالم ولا تضفوا صيغة الدين على نزاعاتكم الشخصية. أقبِلوا الهزيمة في سبيل الله لترثوا نصرا عظيما. فالله يظهر معجزاته لمن يتضرع إليه ويطلب نيل نعمة خاصة. الصلاة من عند الله تأتي وإلى الله تعود ومن خلال الصلاة يصبح قرب الله منك كقرب الروح التي تحييكَ."

"أنا مثل أم تحب أطفالها بل أكثر. لا أعادي سوي المعتقدات الخاطئة التي تهدم الحق. واجبي التعاطف مع كل البشر والوعظ ضد الباطل، وعدم الوفاء للخالق، والاستبداد والسلوك الخاطي والظلم والفسوق هي رسالتي."

رجال يبحثون الكتب السماوية فيجدون فيها سلاما ومحبة وصلاة، وغيرهم يبحث ذات الكتب فيجد فيها وعيدا وحربا وتكفيرا. أحدهم يجاهد بفكره وآخر بقلبه وثالث بسيفه - والكتب هي الكتب، فأين الاختلاف؟

وهل يجوز السؤال؟

كان اسمه محمد بن إسماعيل نشتاكين، وكان على ما يزعمون ترضيا (درازيا) من إيران. انقلب على إمامه حمزة بن علي بن أحمد عام ١٠١٨ ميلادية ليصبح داعيا إلى ما لن تقبل به قلوب أتباعه فما لبثوا أن قتلوه في ظرف عام من هلوسته. ولكن قتله لم يزل اسمه عنهم فصاروا يلقبون بذلك الذي حرم عليهم نطقه لكرهيتهم لهم - الدروز.



يطلقون على أنفسهم "الموحدون" - وقد ظهوروا أول ما ظهوروا في شمال أفريقيا أبان حكم الفاطميين عام ١٠١٧ حيث كشف رسمياً عن مذهب التوحيد في زمن الحاكم بأمر الله، الخليفة الفاطمي السادس حفيد المعز مؤسس الدولة الفاطمية في مصر. كانت الدولة الفاطمية إلى واحدة من أقوى الكيانات السياسية الحضارية العربية وقد وصل حكمها إلى الحكم وإلى هذا المجد الحضاري عن طريق دعوة (مذهبية) ناشطة ومحكمة التنظيم، وقد استمروا على صلة وثيقة بها بعد توليهم الخلافة بل وأمدوها بكل سبل الدعم انطلاقاً من مركزهم القوي على رأس الدولة ووسط تكتم وحذر شديدين. فقد كان الفاطميون يرجعون نسبهم إلى الإمام علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت الرسول ذلك من أجل القول مثلهم مثل غيرهم من الفرق الشيعية أنهم الأحق بالخلافة. وقد كانوا من أشد المهتمين بالجانب الفكري للإنسان، وعكسوا عبر دعائهم مزايا خلقية طيبة جديرة بالاحترام حيث وصفهم المؤرخون بالحكماء، العقلاء، ذوو الفهم الجيد، واللسان الفصيح، والكلام العذب، أتقياء روحياً، طاهرين جسدياً. وقد كان الفلاسفة والعلماء ورجال الفكر من بين دعائهم البارزين.

لقد سعى المذهب الفاطمي إلى تدعيم العقيدة الدينية بالفكر الفلسفي بهدف تحصيل التوافق بين الفلسفة والوحي، ولقي هذا المذهب بما تضمنه من تأملات فلسفية ودعوات إلى "التفكير" وبما شجع من حرية في البحث قبولاً لدى النفوس المتسائلة، الحائرة، وكذلك بين الفقراء و المضطهدين سياسياً و اجتماعياً في عصر الدولة العباسية. وكان الخلفاء الفاطميون أنفسهم علماء وكان العلم لديهم من متطلبات الخلافة والمقام فهم أئمة الدعوة الإسماعيلية والقيومون عليها، وكان الخليفة يشرف بنفسه على التربية الروحية لخلفه يرشده إلى القراءة في مذهب التأويل ويتابع تقدمه، وهناك كتب عدة في العقيدة الإسماعيلية تنسب إلى الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله الذي سميت باسمه مدينة القاهرة. وقد عُرف الفاطميون بالتسامح الديني إذ نادراً ما تدخلوا - رغم قوة دولتهم - في معتقدات رعاياها و شمل تسامحهم مسلمين من غير مذهبهم وأهل الذمة.

أطلق إسم "مذهب التوحيد" على أتباع دعوة الحاكم بأمر الله، ولحق بهم مصطلح الدروز بعد نحو نصف قرن. وأساس معتقدتهم وحدانية الخالق المطلقة، وهم تأويليون لا يكتفون بظاهر النص الديني، يعتقدون بعودة (الحاكم) الإمام. ويؤكد السجل المعلق الذي يعتبر أهم "رسائل الحكمة" في عقيدة الموحدون، أن مذهب التوحيد هو مذهب إسلامي صحيح إذ يقول "بوحداية الخالق، وبرسالة الرسول محمد إلى جميع العالم، وبعصمة القرآن وتنتزله، ويحث بوضوح على القيام بركان الإسلام. وقد ظهر هذا السجل في فبراير عام ١٠٢١ ميلادية بعد غياب الحاكم بأمر الله، وفيه وصف مفصل لتعاليمه وجهوده المتواصلة للإصلاح والعقبات التي واجهها، وسبب وكيفية غيابها. المذهب ارتكز أساساً على القرآن وافر إضافة إلى الأركان الأساسية للعقيدة الإسلامية، بأن التوراة والإنجيل كتب سماوية، لكنه في شكله هو مذهب صوفي غنوصي يصفونه "بالمسلك الثالث". ويعني ذلك أن الموحد (١) بعد أن يكون قد ارتضى بالعمل بموجب ظاهر الشريعة القرآنية وباطنها (٢) يجب أن يصل بسعيه لفهم جوهر التوحيد إلى مرحلة من الإيمان بوحداية الخالق يكون عندها (٣) مهياً لتقبل الحقيقة الإلهية دون حاجة إلى شعائر ووسائط.

دعت عقيدة التوحيد أتباعها بكثافة للتغذي بالعلوم الروحية ولم تسقط مسألة ممارسة الشعائر الدينية من متطلباتها، بل أوصت صراحة بالحفاظ على سنن الشريعة الإسلامية وتكاليها، وقد كان هذا الحرص السبب الرئيسي للخلاف الذي حدث بين حمزة بن علي ونشتاكين الدرازي بعد عام من إعلان الدعوة، وهو الخلاف الذي أغضب الحاكم بأمر الله من الدرازي.

في بداية عام ١٠١٧م دعا الحاكم بأمر الله الناس إلى كشف عقائدهم بلا خوف ولا تستر. ولما تجلى "النور الإلهي" في الحاكم انتقلت الإمامة إلى حمزة بن علي بن أحمد الزوزني الذي وصل إلى القاهرة عام ١٠١٦ قادماً من الشرق. وبعد عام من وصوله كان حمزة قد ألف عدة رسائل شرح فيها المذهب الجديد. ولكنه سرعان ما اصطدم بنشتاكين الدرازي الذي كان من أحد دعاة التوحيد ممن أقرروا بادئ الأمر بإمامة حمزة لكنه انقلب فيما بعد عليه وأدعى أنه "سيد الهادين" وذلك نكايةً بحمزة بن علي الذي كان قد لقبه الحاكم بأمر الله "بهادي المستحيين". ازداد عدد أتباع الدرزي الذين استجابوا طمعاً في مال أو جاه، وتمادوا في أعمالهم السيئة مما أثار غضب الناس عليهم. وراح يسعى إلى فرض الدعوة بالقوة، الأمر الذي أغضب حمزة بشدة وجعله يخاطبه في إحدى رسائله إليه قائلا: "ليس الإيمان بحاجة إلى سيف يعينه، بل إلى الإقناع والروية". وقد اكتشف حمزة أن الدرازي ليس فقيه بالمذهب، ولا يملك العلم الحقيقي الذي يجب أن يتمتع به الدعاة.

صار الدرازي وقلة ممن اتبعوه يغالون في التأويلية مغالاة ظاهرة دفعتهم إلى حد إنكار ظاهر الشريعة. فحاول حمزة إبقاء المذهب في إطاره الإسلامي السليم، مخاطباً الدرازي بقوله "أن الظاهر والباطن متلازمان مثل الجسد والروح، لا غنى لأحدهما عن الآخر". غضب الحاكم بأمر الله من الانحرافات والمخالفات التي أثارت النزاعات وسببت العداء وأمر حمزة بن علي بتعليق الدعوة سنة ١٠١٨ م. وفي آخر يوم من سنة ٤٠٩ هجري (١٠١٨م). زحف الدرزي وأتباعه على مسجد ريدان قرب قصر الخليفة، مقر الإمام حمزة بن علي، ولم يكن مع حمزة بن علي داخل المسجد سوى اثني عشر نفرًا. لم يفلح المهاجمون في اقتحام

المسجد طيلة النهار فتفرقوا. وفي اليوم التالي، أول أيام السنة الهجرية ٤١٠ (١٠١٨ م.) قتل الدرزي، وقد تبرأ منه الموحدون. فقد سببت المحاولات المشبوهة التي قام بها آنذاك في ضجة "إعلامية" أدت إلى إطلاق اسمه على أتباع دعوة التوحيد.

بالرغم من محاولة الحاكم إقفال الدعوة حينها، إلا أنها عادت بعد مقتل الدرزي، سنة ٤١٠ هجري، وُظمت من جديد وعاد الدعاة إلى سابق عهدهم يكتبون العهد، أي الميثاق، على المستجيبين. بقيت الدعوة ناشطة حوالي سنتين، إلى أن غادر الحاكم بأمر الله قصره يوم ١٢ فبراير عام ١٠٢١، قاصداً وكعادته في كل ليلة جبل المقطم، ولكنه لم يعد. وباحتجاب الحاكم علق الإمام حمزة الدعوة (ومن هنا جاء اسم "السجل المعلق")، واختفى (يقول الدرزي "غاب") هو وأخوته إسماعيل بن محمد التميمي، ومحمد بن وهب القرشي وسلامه بن عبد الوهاب السامري بعد أن سلم أمور الدعوة إلى بهاء الدين علي بن أحمد الطائي.

وبعد الحاكم بأمر الله اعتلى عرش الخلافة الفاطمية الأمير علي الملقب بالظاهر. وقد حقد على الدرزي لأنهم لم يعترفوا له بالإمامة التي كان الحاكم بأمر الله قد قلدها لحمزة بن علي، فما مضت الأربعين على احتجاب الحاكم بأمر الله حتى أقام على الدرزي اضطهادا في كل أنحاء مملكته، من انطاكية شمالا إلى الإسكندرية جنوبا، حيث قتل الألوف منهم بعد العذاب والتنكيل. فكان رجال الظاهر يذبحون الموحدون ويرفعوا رؤوسهم على الرماح، أو يحرقونهم في النار، أو يعملوا فيهم السيف ويبقرون البطون ويقطعون القلوب والأكباد. وكانوا يصلبون الرجال على الصلبان، ويسلبونهم أموالهم، ويسبون النساء والأولاد ويذبحون الأطفال الرضع في أحضان أمهاتهم. وما الغريب في الأمر بأن الموارنة قاموا بنفس هذه الأعمال الهمجية ضد قرى الدرزي أيام الحرب الأهلية في لبنان، فالتاريخ له طريقة غريبة في إعادة فصوله الكريهة. دامت المحنة سبعة سنوات قاسية قام بهاء الدين بحجب الدعوة في أغلبها. ولم ينتهي اضطهاد الظاهر للدرزي إلا خلال سنتي ١٠٢٥ - ١٠٢٧ عندما حصل الجفاف في مصر وانتشرت الفئران بشكل لم يعد الأطفال والناس في مأمّن على شرايهم وطعامهم ومحاصيلهم منها. وأصاب الوباء بلاد الشام مما ساهم في إلهاء الدولة الفاطمية عن البطش بالدرزي.

استمرت لدعوة حتى عام ١٠٤٢ ميلادية بعد انتهاء بهاء الدين علي بن أحمد الطائي من كتابة عشرات الرسائل لنشر الدعوة في معظم أرجاء العالم الإسلامي. لقد كانت علاقة العقيدة الدرزية بالإسلام موضع البحث الدائم والتشكيك من قبل الباحثين والنقاد، وقد اختلفت آراء الباحثين حول الموضوع فمنهم من اعتبر الدرزية مذهباً من المذاهب الإسلامية ومنهم من اعتبرها ديانة مستقلة بحد ذاتها، حتى وصل الموضوع إلى درجة عالية من الضبابية على أعلى المستويات. فالدرزي لا يقومون بأداء أركان الإسلام الخمسة (تلاوة الشهادة، الصلاة خمس مرات يوميا، الزكاة، صوم شهر رمضان والحج إلى مكة) ولذا فإن أكثر المسلمين لا يعتبرونهم جزءاً من المسلمين بل خوارجا عليه. أما الدرزي فيعتبرون أنفسهم مسلمون ويعلن شيوخهم دائماً انتمائهم للإسلام، وتعتبر الطائفة الدرزية في سورية مذهباً إسلامياً بالرغم من وجود الأحكام المذهبية الخاصة بها والتي يُعامل أبناء هذه الطائفة وفقها معاملة تختلف عن معاملة باقي الطوائف الإسلامية في سورية. من جهة أخرى أصدر الأزهر فتوى تقول بانتفاء الدرزي إلى الإسلام كما فعل مقتي سورية في حين هناك العديد من الفتاوى التي تكفر الدرزي وتخرجهم من البيت الإسلامي كفتوى ابن تيمية الشهيرة.

يؤمن الدرزي بالقرآن كتاباً مقدساً ولكنهم ينظرون إليه كمجرد غشاء خارجي، يحمل داخله معنى باطني. وتعرف نصوصهم الدينية إجمالاً باسم كتاب الحكمة: مجموعة كتب، السنة الأولى منها هي الأكثر شيوعاً واستعمالاً. وهم توحيديون بحزم، يؤمنون بتفرد الله الذي لا شريك أو ابن له، وليس جزء من ثلاث، وقد خلق الكون من العدم، وهو قدير عليم. يعترفون بسبعة أنبياء رئيسيين، منهم آدم وإبراهيم والمسيح ومحمد. يرفضون مفهوم الولادة البتولية، ويعتقدون بأن السيد المسيح كان ابن يوسف. لكل نبي رئيسي لديهم سبعة أنبياء صغار؛ ولكل من هؤلاء اثنا عشر تابع، منهم النبي دانيال، والفيلسوف أفلاطون وأفراد آخرون من التاريخ التوراتي واليوناني. لا يعبدون الأنبياء ولكنهم يستعملون أسمائهم في الشفاعة عند الصعاب، ويعتبرونهم منزهين عن الخطأ والذنوب.

يعتقد الدرزي على غرار أتباع العديد من أديان الشرق الأقصى، بأنّ بتناسخ الروح فوراً بعد الموت، لتولد من جديد في جسم إنساني آخر. يعتقدون بأنّ كلّ أرواح خلقت سوياً وأن العدد الكلي للأرواح لم يزداد أو ينقص منذ الأزل، وبأن الروح ستمر خلال أعمار عدة بتجربة كاملة "للصحة والمرض وحسن وسوء الحظ وثناء وفاقه". لكل روح الفرصة لكي ". . . تتقدم صاعدة إلى أن تصل مرحلة النقاء"، وقد تصل خلال التناسخ المتعاقب إلى الأتحاد في النهاية "بالعقل الكلي".

أما مفهومهم عن السماء والجحيم فهو روحي: "السماء هي منتهى السعادة التي تشعر بها الروح عندما تُقابلُ خالقها وتتحد معه. . . والجحيم. . . هو الشعور المرّ بالحرمان من التواجد النهائي أما الذات الإلهية". كل شخص لديه ميل مساوي لفعل الخير والشر وهو حر في الاختيار ما بين القيام بما هو صحيح أو خاطئ. إن الوصايا السبع التالية هي ما يميز الحياة اليومية للدرزي: صدق اللسان، وهي الميزة الأولى والأعظم لديهم؛ تربية وحماية الإخوة؛ اجتثاث المغالطات والبطلان؛ رفض الشر والتعدي؛ عبادة الله في كل عصر وفي جميع الأوقات؛ القبول شاكرين بما يأتي به القدر من عند الله؛ والتسليم التلقائي بإرادة الله.

تسمى أغلبية الدرزي بالجهال، ويمنعون عادة من الاطلاع على النصوص الدينية، بل يحضرون الجزء الأول فقط من الاجتماعات الدينية للجماعة التي تعقد أيام الخميس. وحوالي خمس الأعضاء يعرف بالعقل (جمع عقل) - وهم الأعضاء المتطوعين على أسرار دينهم. لا يتزوج الدرزي إلا من ضمن عقيدتهم، ويعتبر الزوجان متساويان في الواجبات والحقوق. أما تعدد الزوجات والعبودية فحرام لديهم. ونرى في ذلك تأثير الحاكم بأمر الله الذي كان سابقاً في ثلاث: إعلان حرية العقيدة الدينية ومنع الرق وإطلاق العبيد وتقسيم الحكم بين السنة والشيعة بصورة متساوية.

هل من المستحيل أن نطلب من العرب أن يتعلموا من التاريخ شيئاً، بدلا من تذكر الرجل لمنع أكل الملوخية لا غير؟

وهل يجوز السؤال؟

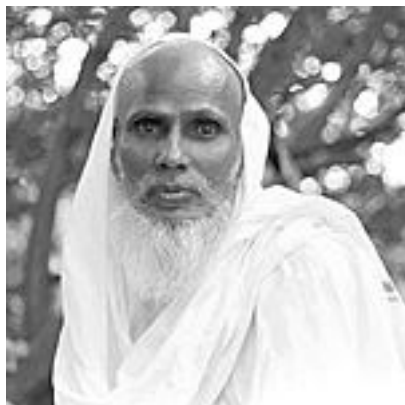
يبدأ العديد من الديانات في العالم بصدمة جسدية أو روحية ما لمؤسسيها – فمن يري منهم ملاكا يعطيه كتابا من ذهب، أو يخنقه ويرسله بعدها ليبشر قبيلته بما قيل له، أو ينزل عليه صوتا ونورا وهو متعبد، أو يأتيه في منام أو مرض برسالة تفتح عينيه على الحق، أو يصارعه حتى يعترف به. ورسل القرن العشرين لا يختلفون في ذلك عن رسل العهود القديمة أو المظلمة أو المضيفة. وسنتناول في هذا العدد إثنين من هؤلاء "الرسل" – كلاهما من النوع العاقل الباحث، ثم نتطرق في العدد القادم إلى أحد آخر مدعي النبوة في الإسلام.

أولهما هو محمد سوكرانو سوموهادي ويجوجو (١٩٠١ – ١٩٨٧) الاندونيسي المسلم والمعروف أيضا باسم "باك صبح" الذي أتاه "الوحي" على شكل ما يشبه نوبة صرع عام ١٩٢٤، واعتبرها أولى خبراته الروحية. وتالت هذه النوبات لأربعة أعوام. ولما بلغ الثانية والثلاثين إدعى بأن روحه حلقت خارج جسده وعبر أثناءها حاجز الزمان والمكان ليتقابل مع النبي موسى والمسيح والنبي محمد. ولكنه لم يتقوه بأي من هذه الخبرات علنا لعدة سنوات ثم بدأ في عام ١٩٣٢ بإلقاء دروس في التمارين الروحية، واستقال من وظيفته الحكومية في العام التالي ليقوم بالدعوة إلى مدرسته، طالبا من تابعيه أن يدعونه باباك (أبي). وفي عام ١٩٥٤ قابله سوري مسلم متعلم في بريطانيا، وهو حسين رافع، لذي وصول الأخير إلى اندونيسيا بحثا "عن حكمة الشرق" (بيدو أن سوريا كانت تفتقر إليها، بالرغم من كونها في الشرق) و"فتح صبح عينيه على الحق" فكتب مقالا عنه إلى مجلة تايمز ثم سافر إلى قبرص وتركيا لنشر تعاليمه، وعاد ليأخذ صبح معه إلى بريطانيا حيث عرفه على أحد تابعي جورديف الذي افقتن بتعاليم صبح وكتب عنه كتابا.

لم يدعي صبح يوما بأنه نبي أو حتى معلم، فقد كان دائم القول بأن الله هو الوحيد الذي يعلم البشر. بل رأى نفسه دليلا روحيا لمن اتبعه. وقد سجل مجموعته الاندونيسية الأولى عام ١٩٤٧ تحت اسم "صبذ" (وهي تعني الكمال أو الشيء القيم بالجفانية) وبنى تعاليمه على ثلاثة أركان هي "الحياة الصحيحة وطهارة الأخلاق"، "الذات الإلهية الكامنة في الإنسان" و"التسليم الكامل لله". وبالرغم من أن البعض يعتبرونه مذهباً إسلامياً إلا أن تابعي صبح لا يعتبرون المدرسة دينية أصلاً، ناهيك عن كونها مذهباً مسلماً، وله من أتباعه العديد من المسيحيين الذين لم يغيروا دينهم. وتشتمل ممارستهم على الوقوف بهدوء لساعات في إنتظار وحي من الله، بل أن أتباعه يرون أن حياتهم بالكامل يفترض أن تكون إنتظارا لما ينزله الله عليهم – وهم لا يؤمنون بالسحر وما فوق الطبيعة إلخ. بل بالنمو في الروح. للجماعة حاليا حوالي ١٢ ألف عضو ومجلس عالمي.



أما المتعلّق الثاني ذو الرسالة (أو قل ذو تفسير شخصي للإسلام) هو السيريلانكي باوا (وهي أيضا تعني الأب) محي الدين، الذي لا نعرف عن بدايات "وحيه" إلا القليل النادر، لأن "الأب" الوقور لا يحكي عن شبابه شيئا سوي الروايات حول مقابلاته الشخصية مع الذات الإلهية وهي مقابلات كانت تتسم بطابع كوني. فقد بدأ ناسكا متجولا عازفا عن الزواج يتبع التعاليم الإسلامية حيناً والهندوسية حيناً آخر ويدمج بينها، وهو أمر شائع في شبه القارة الهندية، حتى اكتشفه عدد صغير من الهندوس الذين أتوا إلى سري لانكا للحج عام ١٩٤٠. ويقال أن الهندوس رأوه خارجا من دغل فقررروا أن هذا هو المعلم الذي يستحق الإلتباع وطلبوا منه أن يرشدهم فوافق وبدأ في نشر تعاليمه، بعد أن استقر في مدينة جافنا وأسس بها جامعا أسماه بيت الله، جاذبا إليه عددا لا بأس به من المسلمين الهنود.



وتعاليم باوا محي الدين تركز على أحادية الله وعلى المفهوم الصوفي الإسلامي لوحدة الله في كل خليقته كما هي موضحة في القرآن والسنة. وصار باوا يجذب إليه مسلمين ملتزمين من المدارس الصوفية الأخرى أودوي ميول إلى التصوف، وتحولت تعاليمه ببطء لتتخذ سمة التفسير للكتب الإلهية بدلا من التركيز على الممارسات الشعبية الشائعة وسط سكان أرياف الهند. وفي نفس الوقت بدأ باوا محي الدين أن يسمي نفسه بقطب الزمان (وهو أعلى رتبة يمكن أن يصل إليها أي شيخ في المدارس الصوفية) مدعيا بأنه خليفة الشيخ عبد القادر الجيلاني (المتوفي عام ١١٧٦م) والمؤسس للطريقة القادرية الصوفية. وتتفق كل الطرق الصوفية في العالم تقريبا على أن الجيلاني هو قطب الأقطاب. كما يجب الملاحظة بأن إهداء باوا محي الدين خلافته للشيخ الجيلاني لم تؤسس على العلاقة التقليدية بين الشيخ ومريده الذي يخلفه وهي الطريقة التي يتم بها تحديد الخلافة في كل الطرق الصوفية.

وفي عام ١٩٧١ وافق باوا محي الدين على الحضور إلى الولايات المتحدة بعد أن دعاه أحد المرسلين إليها، وصار يعلم عددا من الباحثين عن "حكمة الروح" أو "حكمة الشرق" إلخ. من حكم في فيلادلفيا، معظمهم من الشباب الذين كانوا في ستينات القرن العشرين من أنصار الثقافة المضادة (أي الهيبيز). ولم يفقه إلا عدد قليل للغاية إلى أن تعاليمه إنما هي تعاليم المتصوفين المسلمين وبقي باوا يعلمهم لخمس سنوات قبل أن يكشف لهم "أن هذا هو الإسلام الحق". ومنذ عام ١٩٧٦ أدخل طرقا أكثر وضوحا للتعبير عن التعاليم الإسلامية – منها الذكر وبعض الممارسات التعبدية الإسلامية الأخرى التي يمارسها المتصوفون، بالإضافة إلى إقامته

مسجدا في المنطقة.

وفي الوقت الحالي تتكون جماعته من حوالي ألف شخص ولها علاقات بالجاليات المسلمة المهاجرة في الولايات المتحدة، توفر لها مصادر تعليمية حول الإسلام وتقدم المسكن للممثلين الزائرين من الدول المسلمة. والمصدر الأساسي للإرشاد لا تزال هي تعاليم باوا محي الدين وسلوكه. والجماعة تلعب دورا هاما في دراسة الصوفية في الولايات المتحدة وهي خير مثال على مرور الحركات الإسلامية بعدة مراحل: من تعليم المهتدين إلى الإسلام الأميركي إلى خدمة الجالية المسلمة المهاجرة من العالم الإسلامي – أي الدنو أكثر نحو الإسلام الصحيح.

كل هذه الكتب المقدسة التي يمكننا أن نقضي حياتنا في دراستها ونقضي مضاجعنا في محاولة فهمها، ولا زال العالم ينتظر الجديد – دائما الجديد الذي يفسر لنا القديم بطريقة جديدة، ويا حبذا إن بم يقل لنا أن الأمر عتيق عتق التاريخ. فهل يا تري البشرية مريضة بجنون التجديد – لا في الاتجاهات الفكرية والملابس والتقليعات، بل وفي الدين أيضا؟

وهل يجوز السؤال؟